وقوله (فنبذوه) عطف بالفاء الدالة على التعقيب للإشارة إلى مسارعتهم إلى ذلك والذين نبذوه هم علماء اليهود في عصورهم الأخيرة القريبة من عهد الرسالة المحمدية فالتعقيب الذي بين أخذ الميثاق عليهم وبين أخذ الميثاق عليهم وبين نبذهم إياه منظور فيه إلى مبادرتهم عقب الوقت الذي تحقق فيه أخذ الميثاق وهو وقت تأهل كل واحد من علمائهم لتبيين الكتاب وإعلانه فهو إذا أنس من نفسه المقدرة على فهم الكتاب والتصرف في معانيه بادر باتخاذ تلك المقدرة وسيلة لسوء التأويل والتحريف والكتمان . ويجوز أن تكون الفاء مستعملة في لازم التعقيب وهو شدة المسارعة لذلك عند اقتضاء الحال والاهتمام به وصرف الفكرة فيه . ويجوز أن يكون التعقيب بحسب الحوادث التي أساءوا التأويل واشتروا بها الثمن القليل لأن الميثاق لما كان عاما كانت كل جزئية مأخوذا عليها الميثاق فالجزئية التي لم يعملوا فيها بالميثاق يكون فيها تعقيب ميثاقها بالنبذ الاشتراء .

والنبذ : الطرح والإلقاء وهو هنا مستعار لعدم العمل بالعهد تشبيها للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الانتفاع به .

ووراء الظهور هنا تمثيل الإضاعة والإهمال لأن شأن الشيء المهتم به المتنافس فيه أن يجعل نصب عينيه ويحرس ويشاهد . وقال تعالى (فإنك بأعيننا) . وشأن الشيء المرغوب عنه أن يستدبر ولا يلتفت إليه وفي هذا التمثيل ترشيح لاستعارة النبذ لإخلاف العهد .

والضميران : المنصوب والمجرور يجوز عودهما إلى الميثاق أي استخفوا بعهد ا وعوضه بثمن قليل وذلك يتضمن أنهم أهملوا ما واثقوا عليه من تبيين الكتاب وعد كتمانه ويجوز عودهما إلى الكتاب أي أهملوا الكتاب ولم يعتنوا به والمراد إهمال أحكامه وتعويض إقامتها بنفع قليل وذلك يدل على نوعي الإهمال وهما إهمال آياته وإهمال معانيه .

والاشتراء هنا مجاز في المبادلة والثمن القليل وهو نا يأخذونه من الرشى والجوائز من أهل الأهواء والظلم من الرؤساء والعامة على تأييد المظالم والمفاسد بالتأويلات الباطلة وتأويل كل حكم فيه ضرب على أيدي الجبابرة والظلمة بما يطلق أيديهم في ظلم الرعية من ضروب التأويلات الباطلة وتحذيرات الذين يصدعون المنكر . وهذه الآية وإن كانت في أهل الكتاب إلا أن حكمها يشمل من يرتكب مثل صنيعهم من المسلمين لاتحاد جنس الحكم والعلة فيه .

(لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم [188]) E A تكملة لأحوال أهل الكتاب المتحدث عنهم ببيان

حالة خلقهم بعد أن بين اختلال أمانتهم في تبليغ الدين وهذا ضرب آخر جاء به فريق آخر من أهل الكتاب فلذلك عبر عنهم بالموصول للتوصل إلى ذكر صلته العجيبة من حال من يفعل الشر والخسة ثم لا يقف عند حد الانكسار لما فعل أو تطلب الستر على شنعته بل يرتقي فيترتب ثناء الناس على سوء صنعه ويتطلب المحدة عليه . وقيل : نزلت في المنافقين والخطاب لكل من يصلح له الخطاب والموصول هنا بمعنى المعرف بلام العهد لأنه أريد به قوم معينون من اليهود أو المنافقين فمعنى (يفرحون بما أتوا) أنهم يفرحون بما فعلوا مما تقدم ذكره وهو نبذ الكتاب والاشتراء به ثمنا قليلا وإنما فرحوا بما نالوا بفعلهم من نفع في الدنيا .

ومعنى (يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أنهم يحبون الثناء عليهم بأنهم حفظة الشريعة وحراسها والعالمون بتأويلها وذلك خلاف الواقع . هذا ظاهر معنى الآية . وهو قول مجاهد . وعن ابن عباس أنهم أتوا إضلال أتباعهم عن الإيمان بمحمد A وأحبوا الحمد بأنهم علماء بكتب الدين